واجابتهالمطالب التونسيين بعد تلك الذبذبة والتفشم والانذار والوعيدواحراجها صدر العدل بسجن فئة من زعماء الطلاب وانا نقول الآن عفا الله عما سلف ونهنئ اخواننا الطلاب المجتهدين بفوزهم وفلجهم ونرجو أن تبقى نفوسهم دائما ظمأى الى مالم يأتوا من العلوم واعيذهم ان يخدعوا بأماديح المادحين ويركنوا الى الغاشين المتفيهقين فليس ماأحرزوه هوكل الاصلاح وانما هو وشل من بحر وعلى الله قصد السبيل

ولعلنا نوفق لكتابة مقال مطول في هذا الموضوع

حسين وصفي رضا

الشيخ جمال الدين الافغاني

(والشيخ محمد عبده)*

كنت كتبت رسالة بينت فيها فساد زعم الذين يتهمون الشيخ جمال الدين الافغاني بالمروق وأوضحت بطلان هذا البهتان بأجلى بيان وطبعت تلك الرسالة ونشرتها فتداولتها الايدي واشتهرت بين الناس و بعدذلك سمعنا ببهتان جديد وهو أن الاستاذ لم يكن مارقا ولكنه كان وهابيا

عجبا هل يعرف هؤلاء الذين يهرفون بما لايعرفون معنى رميهم الناس بالمروق تارة و بالوهابية تارة أخرى ؟ أم هل درى أولئك الخراصون الافاكون ناشرو الافك والبهتان أنهم بعملهم هذا يدخلون تحت طائلة قوله تعالى « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب في الدنيا والآخرة » الخ ؟

وأما الوهابية فهي بالحقيقة اسم للذين اعتنقوا هذا المذهب وهم معظم سكان بلاد العرب ومذهبهم ليس بينه و بين مذهب الحنبلية فرق كبير

عجبا أصار من الدين عندنا أن نثق بكل كلام يرادبه ايذاء أي شخص

*) كتب محمد عاكف افندي الكاتب المعروف هذه المقالة ونشرها بجريدة شورى التي تصدر في اورنبورغ في الروسية تحت هذا العنوان فنقلناها عنها

والطعن عليه ؟ وكيف يجوز أن نعمد الى رجل صحيح العقيدة صالح الاعمال ونقول إنه رجل صالح لكنه مارق من الدين، ثم يتلقى الناس هذا القول وينتشر من دون ترو ولا نظر في أعمال وأحوال من نسب ذلك اليه فلا يمضي قليل زمن حتى يشيع بين الناس بأن فلانا مارق وان فلانا زنديق

ثم كيف يجوز لنا الحكم بمجرد نقل قوم لا يعرفون من أحوال من يحكمون عليه بهذه الافتراآت ولا من كلامه شيئا يصحح حكمهم ؟

انا نعلم أن اكبر جرم في الاسلام هو أن يحكم الانسان على عقيدة انسان آخر ويتحكم فيها وينسبه الى الزندقة تارة والى الوهابية تارة أخرى بمجرد اختلاف في المشرب أو لأقل سبب مع أن الواجب الاسلامي يأمرنا باحترام عقيده مطلق إنسان ما دام يوجد دليل واحد على اسلاميته ضد تسعة وتسعين دليلا على الكفر وانه لا يجوز الحكم بالكفر مع وجود ذلك الدليل

ان اتهام كبار المصلحين بالوهابية في بلاد العرب و بالفرماسونية في بلاد الترك و بالبابية في بلاد العجم و بالدهرية والمروق في بلاد الرو سيا صار امرا معروفا ومشهورا جدا . وان تعجب فعجب نعت خيرة رجال الاسلام بتلك النعوت مثل جمال الدين الافغاني مع انهم هم وحدهم المعروفون بالمدافعة عن الدين الاسلامي وهم انفسهم المجتهدون في ترقية بنيه بتربيتهم تربية صحيحة وهم الذين افنوا عمرهم الثمين بانشاء المدارس ليجعلوا لابناء أمتهم حظا من العلوم التي تنهض بهم من حضيض الذل الى اوج العز وتؤهلهم للجهاد في معترك هذه الحياة ليخرجوا من اسر المغلوبية

اذا اعترض علينا معترض من أهل الملل الاخرى قائلا : انكم تتهمون أفضل رجالكم واعلمهم واعقلهم واعلام قدرا واشدهم غيرة على ملتكم بالمروق والدهرية والفرماسونية والوهابية مع انهم لا يريدون لكم الا الخير والرقي والسعادة فلماذا ؟ ألأن دينكم لا يجتمع مع العقل والعلم والفضل والادب والحمية وحسن الخلق ؟؟ فماذا يكون جوابنا ترى ؟

اذا بحثنا في تاريخ الرجال الغيورين في القطر المصري الذين يدأبون على منفعة

الاسلام ويخدمون المسلمين خدمة صادقة نجد انهم تلامذة جمال الدين الافغاني وانهم انما نبغوا بفضل تربيته القويمة

لو كان الرجل مارقا من الدين كما يقولون لما قدر ان يوجد رجالا ممتلئين غيرة على الدين وأهله يخدمونه أجل الخدم (لان فاقد الشيء لا يعطيه) ولام لم سوى ترقي الانسانية بكل همة ونشاط

ان جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى ضاقت عليه الارض بما رحبت سواء كان في الافغان أو العجم أو تركيا أو أوربا ولم يسمح له ان يقيم في احدى هذه البلاد ناعم البال منشرح الصدر . ولو كان من محبي المال والجاه والمناصب العالية لترك ما اضطهد لاجله وهو خدمة الاسلام الجليلة والقاء الدروس النافعة للعالم الاسلامي ولما حاول ايقاظ المسلمين من نومهم العميق المؤدي الى النوم الابدي ان لم يسعف بالمنبهات من مثل ارشاد جمال الدين

نعم لو ان جمال الدين ترك خدمة الاسلام واشتغل ببث افكاره في العالم ولم يعمد الى ايقاظهم لانهالت عليه سحب الدنانير ولكان موضع الاحترام وصاحب المقام الذي لا يرام في جميع البلاد

ولكن تلك الروح العالية والارادة القوية والنفس السامية لم تنزل به في هذا الحضيض حضيض المجد الزائل فما زال مشمرا عن ساعد الجد مجتهدا بترويج مقاصده الخيرية يصارع الايام ويكافح النوائب غير هياب ولا وجل وثبت في موقف يتعذر على غيره الوقوف فيه حتى صح ان يقال عنه انه كان شهيدا في حياته وصدقت عليه عبارة كمال بك التركي « احسن شيء وافضله في هذه الدنيا ان يكون الانسان شهيدا في حياته »

هذا وان الذين يفترون على جمال الدين الافغاني بالمروق والوهابية تراهم لا يألون جهدا برمي الشيخ محمد عبده با كثر بما رموه به (كأن الكفر والمروق على نسبة النفع للامة) نعم ان لهؤلاء الافاكين مصنع كفر لا يفتأ يصوغ من حلى الكفر أجودها لهؤلاء الرجال العظام فانا ارجو منهم بعد النظر في مؤلفات الشيخ محمد عبده ان يثبتوا لي علامات الوهابية التي ينكرونها عليه ولو بأي صفة كانت ويظهروها للملا

ان بعض الناس يقول « انه لا موازنة بين زهد الشيخ محمد عبده و بين علمه » (١) وربما كان كذلك وهل اذا امضى الشيخ محمد عبده عمره معتكفا بالمساجد مواظبا على صلاة النافلة أكان يفيد الاسلام اكثر مما افاده ؟ اننا لا نظن ذلك بل ان رده على عالم افرنجي مثل هانوتو ومدافعته عن حقوق الملايين من المسلمين هي في نظرنا أحسن عملا وأكثر ثوابا من الاعتكاف وصلاة النافلة

انظروا الى قول عمر رضي الله عنه لأبي قلابة التابعي « ان اكتسابك الرزق لعيالك أحسن عندنا من اقامتك في المسجد» وهل يعجز أبو قلابة عن تربية عياله وأولاده في زمن يعيش فيه الناس بقليل من النفقة عيشة الرفاهية من غير تجشم مشاق الكسب ؟ ومع ذلك فقد أمره عمر رضي الله عنه بالكسب ونهاه عن الاقامة في المسجد

اما محمد عبده فانه لم يكن مثل ابي قلابة ولا هو في زمن مثل زمنه بل هو في زمن يحتاج فيه ان يشمر عن ساعد الجد لاجل تربية عائلة تبلغ الملايين من الاشخاص

ها نحن اليوم معشر المسلمين ليس لنا مثل جمال الدين ومحمد عبده وقد مضيا الى خالقهما وتركانا كالماشية بلا راع بل اننا اصبحنا واقفين موقف الحيرة لا ندري ماذا نعمل ولا نهتدي طريق النجاة

فالواجب علينا ان نذكر مثل هذين الاستاذين بالخير لانهما خدما الدين وكانا من حماته وأن نسأل لهما من الله الرحمة والغفران لكي ينالا جزاء عملهما الصالح

نعم ويجب أن نعترف بفضلهما وارشادهما لتلاميذهما الاجيال المقبلة وتعيينا حيث اننا لا نعرف لاهل الفضل فضلهم ولأجل أن يعلم القوم الآخرون اننا أناس نعرف فضل المصلحين واننا لسنا ممن يكفرون النعم ، ويحسن ان أوردهنا حكاية صغيرة وأجعلها ختاما لهذا الموضوع وهو أنه قابلني قبل خمس سنوات رجل افرنجي وقال لي « انكم قوم محرومون من معرفة الصناعة وانتم معذورون في هذا أما في عدم تفكركم في معرفة قدر الرجال فلستم بمعذورين بل ان هذا ذنب لكم لا يغتفر وهو من أشنع الذنوب » فاعتبروا يا أولي الابصار .

---

(١) عبارة الاصل مشوشة